**بحث بعنوان : إسهامات القرآن في المنهج العلمي .**

**مقدم من: د. خالد امحمد فرج الوحيشي .**

**قسم الفلسفة –كلية الآداب الزاوية- جامعة الزاوية "ليبيا"**

**المقدمة :**

يقوم المنهج المعرفي في القرآن الكريم على منهج إيماني، يهدف إلى التسليم ببداهات الوحي، وأحكامه في الوجود الدنيوي والأخروي، وفي أحكامه القضائية والكونية، وهو منهج عقلي يعتدّ بأحكام العقل كما أنه منهج واقعي لا يلغي الوجود الحسي من اعتباره في بناء معرفة يقينية وعلمية، فهو إذن منهج يجمع بين الوحي، والعقل، والحسّ، فالوحي المقروء والمشاهد يمدّ الإنسان بالمعرفة، بينما العقل والحواسّ يقوم كلٌّ منهما بدوره في إدراك المعلومات، وفي صياغة المعرفة وتفهمها .

وعليه يمكن أن نجمل مصادر المعرفة القرآنية في مصدرين اثنين مهمينِ وهما، الحواسّ، والملاحظة العلمية والتجربة من ناحية، والعقل من ناحية أخرى، علماً بأنَّ الحقيقة لا يمكن أن نصل إليها عن طريق الأسلوب العقلي البعيد عن الملاحظة والمشاهدة العلمية، من هنا كان الربط بين المنهج التجريبي والعقلي ومن ثم لا تقوم المعرفة القرآنية على القياس العقلي وحده الذي يشير إليه قوله تعالى ﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴾[[1]](#footnote-1)**،** بل تكون الملاحظة العلمية أسلوبا مقرراً للبحث، والفضل في هذا للقرآن وحده .

وفي البداية لابد لنا من توضيح معنى المنهج والعلم في الاصطلاح القرآني قبل الحديث عن مصادر المعرفة القرآنية .

أ-**المنهج في الاستعمال القرآني**

لقد وردت الإشارة إلى المنهج في القرآن الكريم في موضع واحد عند حديث القرآن عن الكتب السابقة وموقف القرآن منها، وموقف الرسول صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب حيث يقول تعالي: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ  فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّـهُ  وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ الْحَقِّ  لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا  وَلَوْ شَاءَ اللَّـهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَـٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ  فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ  إِلَى اللَّـهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾[[2]](#footnote-2) .

يقول ابن عباس رضي الله عنه شرعة ومنهاجاً أي سبيلاً وسنة، فالمنهاج هو السبيل أي الطريق الواضح، والشرعة والشريعة بمعنى واحد، وشرع سنً[[3]](#footnote-3) .

**العلم في الاصطلاح القرآني**

إن المتتبع لمفهوم العـلم في القرآن الكريم يجد أنه ليس قاصراً على العـلم الديني أو الأخروي، أو عالم الغيب .

فقد استعمل القرآن العلم بمعناه المطلق الذي يشمل كلّ علم قال جلّ جلاله: ﴿ وَاللَّـهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ  لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[[4]](#footnote-4) .

لا تعلمون شيئاً هنا في بداية خروج الإنسان إلى الوجود، وكذلك في أواخر حياته إذا بلغ عتيا أو أرذل العمر، وكلمة علم هنا نكرة تفيد العموم المستغرق لعلم كلّ شيء .

واستعمل العلم بظاهر الحياة الدنيا بكل جوانبها الطبيعية والإنسانية أي العالم كله قال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾[[5]](#footnote-5)، فهذا العلم الدنيوي مقابل العلم الأخروي، واستعمل العلم في علم الحساب والفلك ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ  مَا خَلَقَ اللَّـهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ  يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[[6]](#footnote-6)، ومن منزلة العلم في القرآن أن الإنسان يتوصل به إلى أن يكون من الشهداء على الحقّ، والدليل قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّـهُ أَنَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ  لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[[7]](#footnote-7)

وفي جانب آخر نجد أن الله يرفع أهل العلم في الآخرة وفي الدنيا، أما في الآخره فإن الله يرفعهم درجات بحسب ما قاموا به من الدعوة إلى الله عزَّ وجلَّ والعمل بما علموا، وفي الدنيا يرفعهم الله بين عباده بحسب ما قاموا به قال الله تعالى: ﴿ يَرْفَعِ اللَّـهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّـهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[[8]](#footnote-8) .

هذه بعض الآيات التي تدلّ على حثِّ القرآن على العلم، وعلى منزلة العلماء، وغيرها الكثير من الآيات التي تتناول مفهوم العلم .

**أ- الحواسّ**

تُعَدُّ الحواسّ وسيلة من وسائل الإدراك المؤدية إلى اكتساب المعارف والعلوم، وقد اهتمَّ بها القرآن الكريم وعدَّها من النعم التي أنعم الله تعالى بها على الإنسان وأمتن بها عليه، ودعا الناس إلى استعمالها لا اكتساب العلم النافع في الدين والدنيا، فقد أمر الإنسان بالنظر إلى نفسه وما حوله ﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ \*خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ \* يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾[[9]](#footnote-9)**،** فقـوله تعـالى:﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴾تنبه الإنسان على ضعف أصله الذي خلق منه وإرشاد له إلى الاعتراف بالمعاد، لان من قدر على البداءة فهو قادر على الإعادة بطريق الأولى[[10]](#footnote-10)**،** وأن يشكر الله تعالى على النعم التي وهبها الله تعالى له فقال تعالى: ﴿ وَاللَّـهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ  لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[[11]](#footnote-11)**،** في هذه الآية يذكر الله تعالى مننه على عباده في إخراجه إياهم من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئاً، ثم بعد هذا يرزقهم تعالى السمع الذي به يدركون الأصوات، والأبصار التي بها يبصرون المرئيات، والأفئدة وهي العقول التي مركزها القلب على الصحيح، وقيل الدماغ، والعقل به يميز بين الأشياء ضارها، ونافعها وهذه القوى والحواس تحصل للإنسان على التدريج قليلاً قليلاَ كلما كبر زيد في سمعه، وبصره، وعقله، حتى يبلغ أشدّه، وإنما جعل تعالى هذه في الإنسان؛ ليتمكن بها من عبادة ربه تعالى فيستعين بكلَّ جارحة، وعضو وقوة على طاعة مولاه[[12]](#footnote-12)، كما أخبر القرآن أن من أسباب إخفاق الناس في معرفة الحقائق، والالتزام بها، إهمال نعمة الحواس، وعدم استخدامها والاستفادة منها في مجال المعرفة والعلم يقول تعالى: ﴿  وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾[[13]](#footnote-13)، أي لو كانت لنا عقول ننتفع بها، أو نسمع ما أنزل الله من الحقّ، لما كنا على ما كنا عليه من الكفر بالله والاعتزاز به ، فما كان لنا عقل يرشدنا إلى إتباعهم[[14]](#footnote-14) .

وفي جانب آخر نجد أن القرآن قد وجّه العقول إلى النظر في الطبيعة بأوسع معانيها وبأخصّ وأعم ظاهراتها، وهو بهذا يريد منا أن نبدأ بدراسة الوقائع والمشاهدات التي تعمل على إيقاظ التفكير ولا نبدأ بمجردات الذهن وأوهامه، وتظهر الروح القرآنية على أحسن صورها في فتح طريق البحث في هذا المصدر بتوجيه القرآن العقل إلى النظر في الكون ومشاهدة الطبيعة مبتدئاً بالعادي البسيط من ظاهراتها، ومنتهياً إلى أمور كونية كبرى .

ابتدأ القرآن بالدعوة إلى النظر في هيئة خلق الإبل، وارتفاع السماء، وانتصاب الجبال، وانبساط الأرض قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ \* وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ \* وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ \* وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾[[15]](#footnote-15)، في هذه الآية يقول الله تعالى امراً عباده بالنظر في مخلوقاته الدالّة على قدرته وعظمته: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾فإنها خلق عجيب، وتركيبها غريب فإنها في غاية القوة والشدة، وهي مع ذلك تلين للحمل الثقيل، وتنقاد للقائد الضعيف وتؤكل وينتفع بوبرها ويشرب لبنها، ﴿ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴾أي جعلت منصوبةً قائمةً ثابتةً راسيةً؛ لئلا تميد الأرض بأهلها وجعل فيها ما جعل من المنافع والمعادن، ﴿وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾أي كيف بسُطت ومدَّت ومهدت، فنبه البدوي على الاستدلال بما يشاهده من بعيره الذي هو راكب عليه، والسماء التي فوق رأسه والجبل الذي تجاهه، والأرض التي تحته على قدرة خالق ذلك وصانعه، وأنه الرب العظيم الخالق المتصرف المالك[[16]](#footnote-16)، فالقرآن حين يدعونا إلى البحث في كيفية خلق الحيوان والسماء والأرض والجبال والكواكب إنما يمدنا بالمنهج الصحيح للبحث الاستقرائي في علوم شتى كعلوم الحياة، والفلك، والجيولوجيا، والجغرافيا وغيرها .

ثم يتناول القرآن ظاهرات الحياة في النبات والحيوان والسماء والأرض نشأتهما وشكلهما وتضاريس الأرض وأنهارها، وبحارها ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ \* وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ \* تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾[[17]](#footnote-17) في هذه الآية يقول تعالى منبها للعباد على قدرته العظيمة التي أظهر بها ما هو أعظم، من خلق السماء وتزيينها بمصابيح، والأرض وما فيها من جبال رواسي كل هذه الآيات العظيمة تبصره ودلالة وذكري لكل عبد خاضع وخائف رجل رجاع إلى الله عز وجل[[18]](#footnote-18)، ثم ينبه القرآن بعد ذلك إلى مسائل كونية كبرى في الكون ومراحـل ظهوره من التحام ووحدة إلى انفتاق وتشكل متنوع ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا  وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ  أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾[[19]](#footnote-19)، لقد حرص القرآن عن التحدث عن آيات الكون حتى يتمكن الناس من الإحاطة علماً بطبائع الأشياء والعلاقات بينها، والقوانين التي تحكم ذلك، بما يؤدي في النهاية إلى التأكد من وجود خالق الكون، فآيات الكون هي الظاهرات الطبيعية، التي هي في حقيقتها آيات الخالق، ليس هذا فحسب، بل إن القرآن يُشير في أكثر من موضع إلى ناحية الكم والكيف في الأشياء، وتدلُّ كلمة قدر ومقدار وتقدير على الكم في الأشياء، ونظامها والمقصود هنا الكم الزماني والمكاني الخاصّ بالحركة والحجم، أو الترتيب والارتباط كما في قوله تعالى: ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾[[20]](#footnote-20)، ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾[[21]](#footnote-21) .

أي كلّ شيء مما سواه مخلوق مربوب وهو خالق كلّ شيء وربه ومليكه وإلهه، وكلّ شيء تحت قدره وتقديره وتسخيره وتدبيره[[22]](#footnote-22)، كما أنه يذكر الكيف في مواضع كثيرة بمعني هيئة خلقه الأشياء وتكوينها وصفاتها ووظائفها، كما في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴾[[23]](#footnote-23)، هنا شرع سبحانه وتعالى في بيان الأدلّة الدالّة على وجوده وقدرته التامة على خلق الأشياء المختلفة والمتضادَّة فقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾وهو ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ﴿ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ﴾ أي دائماً لا يزول[[24]](#footnote-24) .

من خلال ذلك يتبنين لنا أن القرآن يريد من الإنسان أن يجمع بين النظرة العلمية الفاحصة في الأشياء أي التحليل الاستقرائي، و النظرة التركيبية، التي يمكن أن تفيده في حياته، ويصل من جهة أخري إلى خالق الكون فيؤمن بالخالق ويعظمه ويشكره، وفي موضع آخر نجد أن القرآن الكريم يدعو الإنسان إلى النظر في كلَّ الأشياء المحيطة به ﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ \* أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا \* ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا \* فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا \* وَعِنَبًا وَقَضْبًا \* وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا \* وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴾[[25]](#footnote-25) .

نلاحظ هنا تأكيد القرآن لجانب النظر والملاحظة، حتى يندفع الناس إلى تأمل نِعَم الله الكثيرة وكيف خلقت، خاصة ما يتعلق منها بمصادر غذائهم فعندئذ يؤمنون بالله خالقها، ويشكرون له فضله، وذلك كما يقول ابن القيم الجو زيه استدلالا بالنظير على النظير[[26]](#footnote-26) .

ويلاحظ المتتبع لكل ما أوردناه أن القرآن قد حدد عناصر المنهج الاستقرائي بالحسّ والمشاهدة، والنظر في مخلوقات الله من ظواهر إنسانية وغير إنسانية، فالقرآن أشار إلى أن الحواسَّ هي وسيلة الاتصال التي يتعامل بها الإنسان بينه وبين محيطه الخارجي، ولعل ما ذكرناه من آيات وغيرها كثير تّدل على مكانة الحواسّ ودورها في المعرفة .

**ب- العقل**

دعا القرآن إلى استخدام العقل واهتمَّ بمخاطبة ملكات التفكير والتعقل عند الإنسان، وتبدو تلك المكانة التي يمثلها العقل في الدعوة الصَّريحة إلى التفكير والنظر، وطلب المعرفة والعلم وقد حضَّ القرآن على التدبر في مخلوقات الله، ووصف القرآن الذين يعطلون عقولهم بالدواب كما في قوله: ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّـهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[[27]](#footnote-27) .

هنا يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله ويزجرهم عن مخالفته، والتشبه بالكافرين به المعاندين له لئلا يكونوا كالدواب ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّـهِ الصُّمُّ ﴾ أي عن سماع الحقّ، وعن فهمه، ولهذا قيل ﴿ لَا يَعْقِلُونَ ﴾فهؤلاء خلقوا للعبادة فكفروا، ولهذا شبههم بالأنعام[[28]](#footnote-28)، وقال تعالى في سورة أخرى: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً  صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[[29]](#footnote-29)، هنا يشبه الله تعالى الذين كفروا بما هم فيه من الغي والضَّلال والجهل، كالدواب السارحة التي لا تفقه ما يقال لها، بل إذا نعق بها راعيها أي دعاها إلى ما يرشدها لا تفقه ما يقول ولا تفهمه، بل إنها تسمع صوته فقط[[30]](#footnote-30)، نفهم من هذه الآيات السابقة أن القرآن يتوجه باللائمة على الذين لا يستخدمون العقل، ويعطلون عقولهم عن التفكير والتدبر في آيات الله ومخلوقاته، فالقرآن يدعو ويحثُّ على استخدام العقل .

كما نجد أن القرآن سعى إلى تحرير العقل من أي عائق، أو قيد يحول بينه وبين أن يقوم بوظيفته مثل التقليد الأعمى للآباء، أو اتباع الهوى، أو الأخذ بالظن مـن غير يقين، فالتقليد إلغاء للعقل وتعطيل له عن أداء وظيفته؛ لذا ذمه القرآن، كما نجد أن القرآن ذمَّ اتباع الهوى؛ لأن ذلك يفسد الحكم على الأشياء كما يفقد الباحث عن الحق الموضوعيةَ في نظره إلى الأشياء وحكمه عليها قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ  إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴾[[31]](#footnote-31)، كما نجد أن القرآن حرص على استقامة منهج النظر العقلي لذلك ذمَّ بناء المعلومات على الظن، لان الظن لا يفيد يقيناًً ولا علماًً، ولا يغني عن الحقَّ شيئاً قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾[[32]](#footnote-32)، فالقرآن أكّد على قيام العلم الصحيح، وتأسيس اليقين على أساس من النظر والاستدلال العقلي السليم ليس هذا فقط، بل نجده يوُجه العقول إلى استخدام وسائل وأساليب في الجدل تمثل في جملتها منهجاً تمَيَّز به القرآن، وأصبح أساساً بنى عليه المسلمون مناهجهم في البحث، وطرقهم في الاستدلال، وقد سلك القرآن في مخاطباته أساليبَ شتى وتفنن في ضروب الهداية، وطرق الإقناع لاختلاف مشارب الناس، وتباين مقاصدهم وتفاوت مداركهم، ومن بين الطُّرق والأساليب التي وردت في القرآن الكريم .

1**- السبر والتقسيم**

وهو نوع من أنواع الجدل يتخذه المجادل سبيلاً لإبطال دعوى مَنْ يجادله، ويكون ذلك بحصر أوصاف أو أقسام الموضوع الذي يجادل فيه، ثم يبين أنه ليس في أحد هذه الأقسام أو الأوصاف خاصية تسوغ قبول الدعوى فيه، فتبطل دعوى الخصم عن طريق هذا الحصر المنطقي للموضوع[[33]](#footnote-33) .

ومن أمثلة هذا المنهج في القرآن قوله تعالى﴿ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ  مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ  قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ  نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ \* وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ  قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ  أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّـهُ بِهَـٰذَا  فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّـهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ  إِنَّ اللَّـهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[[34]](#footnote-34)، في تفسير هذه الآية يقول السيوطي: إن الكفار لما حرموا ذكور الأنعام تارة و إناثها تارة أخرى، ردَّ الله تعالى ذلك عليهم بطريق السبر والتقسيم إذا بَيّنت الآية أن الخلق لله تعالى خلق من كل زوج مما ذكر ذكراً وأنثى، فمم جاء تحريم ما ذكرتم ؟ أي ما علته ؟ لا يخلو الأمر إما أن يكون من جهة الذكورة أو الأنوثة، أو اشتمال الرحم الشامل لهما، أو لا يدري له علة وهو التعبدي بأن أخذ ذلك عن الله تعالى والأخذ عن الله تعالى، إما بوحي وإرسال رسول، أو سماع كلامه ومشاهدة تلقي ذلك عنه، وهو معنى قوله: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ وَصَّاكُمُ اللّهُ بِهَذَا ﴾ فهذه وجوه التحريم لا تخرج عن واحد منها .

الأول : يلزم عليه أن يكون جميع الذكور حراماً .

الثاني : يلزم عليه أن تكون جميع الإناث حراماً .

الثالث : يلزم عنه تحريم الصنفين معاً .

فبطل ما فعلوه من تحريم بعض في حالة وبعض في حالة؛ لأن العلة على ما ذكر تقتضي إطلاق التحريم والأخذ عن الله بلا وساطة باطل، وإذا بطل جميع ذلك ثبت المدعى، وهو أن ما قالوه افتراء على الله[[35]](#footnote-35) .

**2- الأقيسة الإضمارية**

المقصود بهذه الأقيسة هي التي تحذف فيها إحدى المقدمات مع وجود ما ينبئ عن المحذوف[[36]](#footnote-36)، وهذا الأسلوب شائع في القرآن، فقد ذكر الغزالي أن القرآن مبناه الحذف والإيجاز، أي في شكل الأقيسة أقرأ قوله تعالى يرد على النصارى الذين يزعمون أن عيسي ابن الله لأنه خلق من غير أب ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّـهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ \* الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾[[37]](#footnote-37)، وسياق الدليل أن آدم خلق من غير أب ولا أم، وعيسي خلق من غير أب، فلو كان عيسي إلها بسبب ذلك لكان آدم أولى، لكن أدم ليس اْبناً، ولا إلهاً باعترافكم، فعيسي أيضا ليس اْبناً ولا إلهاً[[38]](#footnote-38) .

3- **قياس الخلف**

ويقصد به إثبات المطلوب بإثبات نقيضه، وذلك لأن النقيضين لا يجتمعان ولا يخلو المحلّ من أحدهما كالمقابلة بين الوجود والعدم، وقد ورد هذا القياس في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾[[39]](#footnote-39)، فإذا ثبت أن القرآن ليس فيه اختلاف ولا تضارب في مقرراته وعباراته فإنه يثبت النقيض، وهو أنه من عند الله تعالى[[40]](#footnote-40) .

4- **قياس التمثيل**

ويقصد به إلحاق أحد الشيئين بالآخر وذلك بأن يقيس المستدلّ الأمر الذي يدعيه على أمر معروف عند مَنّ يخاطبه، أو على أمر بديهي لا تنكره العقول، وبين الجهة الجامعة بينهما[[41]](#footnote-41)، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ \* قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ  وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ \* الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ \* أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم  بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾[[42]](#footnote-42)، ففي هذه الآيـات عقدت المشابهة والمماثلة بين ابتداء الخلق وإعادته، فمن خـلال ما ورد نفهم أن المسلمين استقوا القياس من القرآن الكـريم، فلو أخذنا قـوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ \* إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّـهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾[[43]](#footnote-43) .

إن المتتبع لهذا النصّ الكريم يجد أن هذا النص يدلّ صراحة على تحريم الخمر، مع بيان المعنى الذي يدعو إلى هذا التحريم وهو ما يتوجب على شربها من المفاسد الدينية والدنيوية، وأي مفسدة أعـظم من إيقاع العداوة والبغضاء بين الناس، وهي السلاح القاتل للراحة في هذه الحياة، والخمر عند بعض الفقهاء اسم لشراب خاصّ، وهو المتخذ من عصير العنب من غير طبخ بالنار وعلى هذا لا تكون الآية متناولة لغيره من الأشربة الأخرى كالنبيذ ونحوه، ولكن هذه الأشربة يترتب عليها ما يترتب على الخمر في حكمه، وهو الحرمة بطريق القياس، فالخمر في هذا المثال أصل أو مقيس عليه، والنبيذ فرع أو مقيس عليه، وإيقاع العداوة والبغضاء بين الناس علّة وتحريم الخمر حكم دلّ النص عليه، وتحريم النبيذ هو الحكم الثابت بالقياس .

يتضح مما سبق من آراء، وبصورة جلية لا تدع مجالاً للشك أنَّ القرآن الكريم فيه استخدام للمنهج العلمي كما وضحنا ، فالقرآن هو الذي أرسي قواعد هذا المنهج .

المراجع :

-: القرآن الكريم .

-: ابن كثير، ( 2000م)، **تفسير القرآن الكريم**، تحقيق: مصطفي السيد محمد وآخرون، مصر: مؤسسة قرطبة .

-: ابن قيم الجوزية، (1969م)**، أعلام الموقعين**، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، القاهرة: دار الكتب الحديثة .

-: زاهر الألمعي، (1404ﻫ)، **مناهج الجدل في القرآن**، ط3، الرياض: مطابع الفرزدق .

-: السيوطي، (1973م)، **الإتقان في علوم القرآن**، بيروت، المكتبة الثقافية .

1. سورة الحشر، الآية 2 . [↑](#footnote-ref-1)
2. سورة المائدة، الآية 48 . [↑](#footnote-ref-2)
3. ابن كثير، ( 2000م)، **تفسير القرآن الكريم**، ج3، تحقيق: مصطفي السيد محمد وآخرون، مصر: مؤسسة قرطبة، ص 129. [↑](#footnote-ref-3)
4. سورة النحل، الآية 78 . [↑](#footnote-ref-4)
5. سورة الروم، الآية 7 . [↑](#footnote-ref-5)
6. سورة يونس، الآية 5 . [↑](#footnote-ref-6)
7. سورة آل عمران، الآية 18 . [↑](#footnote-ref-7)
8. سورة المجادلة، الآية 11 . [↑](#footnote-ref-8)
9. سورة الطارق، الآيات 5-7 . [↑](#footnote-ref-9)
10. ابن كثير، (2000م)، **تفسير القرآن العظيم**، ج14، تحقيق: مصطفي السيد محمد وآخرون، القاهرة: مؤسسة قرطبة، ص 316 . [↑](#footnote-ref-10)
11. سورة النحل، الآية 78 . [↑](#footnote-ref-11)
12. ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج8، ص336 . [↑](#footnote-ref-12)
13. سورة الملك، الآية 10 . [↑](#footnote-ref-13)
14. ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج14، ص73 . [↑](#footnote-ref-14)
15. سورة الغاشية، الآيات 17\_20 . [↑](#footnote-ref-15)
16. ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج14، ص333 . [↑](#footnote-ref-16)
17. سورة ق، الآيات 6-8 . [↑](#footnote-ref-17)
18. انظر ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**،ج13، ص183 . [↑](#footnote-ref-18)
19. سورة الأنبياء، الآية30 . [↑](#footnote-ref-19)
20. سورة الرعد، الآية 8 . [↑](#footnote-ref-20)
21. سورة الفرقان، الآية 2 . [↑](#footnote-ref-21)
22. ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج10، ص284 . [↑](#footnote-ref-22)
23. سورة الفرقان،ا لآية 45 . [↑](#footnote-ref-23)
24. ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج10، ص310 . [↑](#footnote-ref-24)
25. سورة عبس، الآيات 24-30 . [↑](#footnote-ref-25)
26. ابن قيم الجوزية، (1969م)**، أعلام الموقعين**، ج1، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، القاهرة: دار الكتب الحديثة، ص159 . [↑](#footnote-ref-26)
27. سورة الأنفال، الآية22 . [↑](#footnote-ref-27)
28. ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج7، ص 45 . [↑](#footnote-ref-28)
29. سورة البقرة، الآية 171 . [↑](#footnote-ref-29)
30. ابن كثير**، تفسير القرآن العظيم**، ج2، ص147 . [↑](#footnote-ref-30)
31. سورة الأنعام، الآية 119. [↑](#footnote-ref-31)
32. سورة الحجرات، الآية 12 . [↑](#footnote-ref-32)
33. انظر زاهر الألمعي، (1404ﻫ)، **مناهج الجدل في القرآن**، ط3، الرياض: مطابع الفرزدق، ص74، وكذلك انظر السيوطي، (1973م)، **الإتقان في علوم القرآن**، ج4، بيروت، المكتبة الثقافية، ص 55 . [↑](#footnote-ref-33)
34. سورة الأنعام، الآيات 143و144 . [↑](#footnote-ref-34)
35. السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ج4، ص55 . [↑](#footnote-ref-35)
36. الألمعي، **مناهج الجدل في القرآن**، ص76 . [↑](#footnote-ref-36)
37. سورة آل عمران، الآية59و60 . [↑](#footnote-ref-37)
38. محمد أبو زهره**، المعجزة الكبرى**، ص398 . [↑](#footnote-ref-38)
39. سورة النساء، الآية82 . [↑](#footnote-ref-39)
40. محمد أبو زهره، **المعجزة الكبرى**، ص401 . [↑](#footnote-ref-40)
41. الألمعي، **مناهج الجدل في القرآن**، ص78 . [↑](#footnote-ref-41)
42. سورة يس، الآيات78-81 . [↑](#footnote-ref-42)
43. سورة المائدة، الآيات 90و91 . [↑](#footnote-ref-43)